

بين يدي الكتاب

علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي

وكتابه

تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلالها

١ - مقدمة :

لما كان حفظ صحة الأبدان وإيلائها من أسقامها من المقاصد الأساسية التي يتوجه إليها الإنسان ، ويعطيها الأولوية على غيرها ، فإننا لا نستغرب ظهور علم الطب في وقت مبكر جداً من تاريخ الإنسانية ، بل إننا لا نتصور وجود الإنسان بغير طب ، بقطع النظر عما إذا كان هذا الطب مبنياً على أسس علمية أم خرافية .

وقد كان في العرب أطباء درسوا الطب دراسة علمية ، ولعل «لقمان الحكيم» كان من أقدم أطبائهم ، وظهر فيهم «الحارث بن كلدة» وولده «النضر بن الحارث» اللذان عاصرا الرسول ﷺ ، و«ابن أبي رمثة التميمي» الذي اشتغل بعلم التشريح .

وكان «الحارث بن كلدة» قد درس الطب في بيارستان «جنديسابور» من بلاد فارس ، ونبغ فيه ، حتى أصبح طبيب خسرويه كسرى فارس ، ولكنه ما لبث أن عاد إلى بلده الطائف ، فأقام فيها يطيب الناس .

ولكن هؤلاء لم يتركوا لنا كتاباً في الطب .

ولا نعلم أنه ظهر بعد هؤلاء في العرب طبيب مشهور حتى عصر الترجمة .

وقد كان الخلفاء في هذه الفترة يستعينون بأطباء أجنبية غالبهم من أطباء «جنديسابور» ، فقد اتخذ «معاوية بن أبي سفيان» «ابن أبي أنال» النصراني طبيباً له ، كما استعان «بحكم الدمشقي» و«تيادوق» وغيرهم .

ولما بدأت حركة الترجمة على يد «خالد بن يزيد» كانت كتب الطب والكيمياء أول ما تناولته الترجمة إلى اللغة العربية^(١). وإن كان لم يصلنا شيء من هذه الترجمات المبكرة.

ولما آلت الخلافة إلى بني العباس وولي الخلافة «أبو جعفر المنصور» استقدم من «جنديسابور» الطبيب البار «جورجيس بن بختيشوع ١٥٥هـ» ليكون طبيباً خاصاً له، ولم يلبث أن أخذ «ابن بختيشوع» بترجمة الكتب الطبية إلى العربية، ثم تبعه تراجمه عديدون نقلوا كثيراً من كتب الطب من اللغات الأخرى إلى العربية، نذكر منهم «أبو يحيى بن البطريق - ١٩١هـ» الذي ترجم كثيراً من كتب «جالينوس» وكثيراً من كتب «أبقراط».

ولكن الترجمة الجادة، والتأليف الناضج لكتب الطب لم يبدأ إلا بعد أن أسس الخليفة العباسي «المأمون» أول مجمع علمي عربي عام ٢١٧هـ وسماه «بيت الحكمة».

وأخذ يستقطب له عمالقة العلماء والترجمة، ويستقدم له المفيد من الكتب من كل اختصاص، وقد أولى كتب الطب عناية خاصة، والجدير بالذكر أن الخليفة «المأمون» كان يتخذ النفوذ السياسي للدولة سبيلاً للحصول على الكتب من المكتبات الرسمية في الدول الأخرى، وقد استخدم هذا النفوذ للحصول على مجموعة ضخمة من الكتب من أنقرة وعمورية، ومجموعة أخرى من قبرص، ومجموعة ثالثة من القسطنطينية.

لقد أسند «المأمون» رئاسة «دار الحكمة» إلى «يوحنا بن ماسويه - ٢٤٣هـ» تلميذ «جورجيس بن بختيشوع»، ثم أسندها من بعده إلى «حنين بن إسحق - ٢٦٤هـ» وهما طبيبان مشهوران، فأوليا ترجمة الكتب الطبية عناية خاصة.

وكان يقوم إلى جانب «دار الحكمة» مؤسسات علمية خاصة للترجمة، لعل من أشهرها مؤسسة «بني شاعر»^(٢)، التي كانت تنفق على الترجمة كل شهر خمسمائة دينار، وكانت ترسل الرجال ليجمعوا لها الكتب من كل حذب وصوب لتقوم هي بترجمتها.

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ١/ ٥١١ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

(٢) مؤسس هذه المؤسسة هو «موسى بن شاعر» الذي كان منجماً للمأمون، وقد تولى هذه المؤسسة من بعده أبناؤه الثلاثة، وكانوا جميعاً من العلماء.

والأمر الملفت للنظر حقاً هو ظهور كتب تخصصية في طب العيون في هذا العصر المبكر. ولقد كان للدكتور «يوليوس هيرشبرغ» أستاذ طب العيون في جامعة برلين فضل تتبع هذه الكتب في زوايا المكتبات، وفي بطون الكتب والكشف عنها في العصر الحديث، ولقد استطاع الدكتور هيرشبورغ، أن يقدم لنا أسماء اثنين وثلاثين كتاباً في طب العيون ألفها مشاهير الأطباء من العرب والفرس، ولا يعني ذلك أن هذه الكتب التي ذكرها هيرشبورغ هي كل ما ألف في العربية وترجم إليها من كتب طب العيون، إذ قدم لنا «ماكس مايرهوف» أسماء كتب أخرى لم يذكرها هيرشبورغ في تاريخه^(١).

ولقد بلغ التأليف في طب العيون أوجه على أيدي أربعة من المؤلفين هم:

حنين بن إسحاق - ٢٦٤هـ في كتابه «العشر مقالات في العين»^(١) وهو أول كتاب ناضج نعلمه ألف في العربية في طب العيون، وقد تم ترتيبه على أساس ذكر أسباب الأمراض في مقالة، وأعراض الأمراض في مقالة أخرى، وعلاج الأمراض في مقالة غيرها، وهو ترتيب متعب، ولذلك لم يتبع هذا الترتيب المؤلفون الذين أتوا بعد حنين، وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور «ماكس مايرهوف».

والمؤلف الثاني هو: علي بن عيسى - ٤٠٠هـ في كتابه: «تذكرة الكحالين»، وهو أول كتاب تراعى فيه الأصول الأكاديمية في التأليف في طب العيون، وقد طبع الكتاب في الهند بتحقيق الدكتور السيد غوث محي الدين القادري الشرفي.

والمؤلف الثالث هو: عمار بن علي الموصلي - حوالي ٤٠٠هـ في كتابه «المنتخب في علاج أمراض العين» وقد طبع هذا الكتاب في الرياض بتحقيق القلعه جي والوفائي.

وختم التأليف الجيد بالطبيب صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي - ٦٩٦هـ في كتابه «نور العيون وجامع الفنون» وهو بحق أنضج وأحسن كتاب وضع في طب العيون في اللغة العربية، لأنه جمع كل ما كتب في طب العيون قبله، وقد طبع في الرياض من قبل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتحقيق د. محمد رواس قلعه جي ود. محمد ظافر الوفايي.

(١) انظر مقدمة مايرهوف لكتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق.

وكتابنا هذا الذي نقدمه إلى الباحثين اليوم «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها»
لعلي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي من جملة ما كتب في طب العيون في هذا العصر
المتقدم.

٢ - ترجمة المؤلف : علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي

ستحدث هنا عن المؤلف ووالده وأسرته وبلده

أ - المؤلف :

مؤلف كتابنا هذا طبيب مغمور لم يتحدث عنه المؤرخون، ولم يعرفوه إلا من خلال كتابه هذا الذي بين أيدينا، ولم تتوفر لهم من المعلومات عنه غير ما استخلصوه من هذا الكتاب، إنه : علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي .
ويبدو أنه نشأ في كفر طاب ثم رحل إلى مصر، ومارس فيها مهنة طب العيون، وفيها جرب الكحل الذي ركبه عيسى الكحال لأكثر أمراض العين وهو :
أنزروت سبعة دراهم، شياف ماميثا ستة دراهم، كثيرا بيضاء خمسة دراهم، مرّ،
زعفران، من كل واحد ثلاثة دراهم، أفيون، زنجار من كل واحد درهما
ونصف، قلقطار محرق، صبر، من كل واحد وزن درهين، شاذنج وصمغ
عربي، من كل واحد عشرة دراهم، تجمع الأدوية مسحوقة منخولة، وتعجن
بشراب، ويشيف، ويستعمل^(١).

ويظهر أنه رحل إلى اليمن، والتقى بقاضيه «أسعد»، أو أنه التقى به في مكان
آخر، - وأرجح أن مؤلفنا علي بن إبراهيم هو الذي رحل إلى اليمن، لأنه طالما
رحل إلى مصر، فإن ذلك يعني أن الرحلة من طبعه - وأخذ منه كحلاً جلاءً
يقوي البصر، ويمنع من نزول الماء في العين، ويجلو البياض لمن أذمن الاكتحال
به، وقد كان قاضي اليمن أخذه من طبيب هندي وصل إلى عدن، وجربه
مؤلفنا علي بن إبراهيم بن بختيشوع فحمد منفعته، وتركيبه : كحل أصبهاني،

(١) تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها ص ٥٠ مخطوط .

وإقليميا ذهبي، ومرقشيتا، وملح هندي، ودار فلفل، وسنبل الطيب، وتوتياء هندي، وزنجاري، من كل واحد مثقال، تسحق مفردة وتنخل وتربى بهاء رازيانج أخضر، وماء حصرم، وماء مرزنجوش، من كل واحد جزء، يسقى به في كل يوم حتى يغمره في صلاية، ويسحق به إلى أن ينشف، سبعة أيام متوالية، وفي الثامن يسحق مفرداً ويضاف إليه ربع مثقال من المسك الخالص، وثمان مثقال زعفران، على كل مثقال من الحوائج، ويخلط به، ويجود سحقه إلى أن يمتزج، ويكتحل به بعد أن يرطب الميل بالنفس حتى يحمل ماينبغي. فإنه عجيب بالغ، حسن التأثير والفعل^(١).

ويرى الدكتور «ماكس مايرهوف» أن مؤلفنا «علي بن إبراهيم» لم يكن أخصائياً في طب العيون، بل متطبياً عاماً يتعاطى صناعته في كفرطاب^(٢)، وما ندرى من أين أتى «مايرهوف» بهذه المعلومات، وأغلب الظن أن «مايرهوف» استنبط معلوماته هذه استنباطاً، لأنه رأى مؤلفنا يتحدث في أول كتابه عن تركيب جسم الإنسان وعظامه وعضلاته وأعصابه وغير ذلك، ورآه في آخر كتابه يذكر أدوية وأمراض لا علاقة لها بالعين، كذكره دواء للأسنان، وآخر للثة، وآخر لمنع تحلب المواد من الدماغ إلى الصدر، وآخر للبواسير. والحقيقة أن مايرهوف قد غلط مرتين:

الأولى: عندما قال: إن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» لم يكن أخصائياً في طب العيون، وما استند إليه في دعواه هذه لا يصلح مستنداً، لأنه غاب عن ذهن مايرهوف أن العلماء يشترطون لمن يريد أن يكون متخصصاً في طب العيون أن يتقن الطب العام أولاً، ثم يتخصص في طب العيون، لأن بعض أمراض العين سببه من الجسم، وبعض أمراض العين يسبب مرضاً في الجسم، ولذلك عالج أطباء العيون مرض «الصداع النصفي» و«الشقيقة» في كتب طب العيون، ومؤلفنا قد مهر في الطب العام — بدليل ما قدمه لنا من معلومات في الطب العام

(١) تشرح العين وأشكالها ومدادها أعلاها ص ٨٥ مخطوط.

(٢) مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١١.

والتشريح في كتابه هذا، ومهر في طب العيون، ولا أدل عندني على تخصصه في طب العيون ومهارته فيه، وممارسته له، من أن جميع ما أورده من الأدوية لجميع أمراض العين في كتابه «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها» قد جرّبه على مرضاه، وثبتت له فاعليته وجدواه، ومن العمليات الجراحية التي عملها في العين بنفسه، فضلاً عن التي وصف عملها وصفاً دقيقاً فهو إذن متخصص وممارس لطب العيون، فعجباً لـ «مايرهوف» كيف يتورط في دعوى نفي تخصصه في طب العيون.

والثانية: عندما قال: «ولابد أنه قضى شطراً من حياته في مصر، إذ يحدثنا عن مرض نجح في معالجته بالقاهرة عام ٤٦٠ من الهجرة^(١)». والحقيقة أن هذه التجربة قد ذكرها المؤلف في آخر كتابه، ونحن نسوقها لك بألفاظها، قال علي بن إبراهيم بن بختيشوع: «وقال الكندي: إن أبا نصر كان لا يبصر الكواكب ولا القمر، فاستعط بمثل عدسة كئُسد مع دهن بنفسج، فرأى الكواكب بعض الرؤية، فاستعط به ثانية وثالثة فبرىء برء تاماً، وكان قد تقدم تنقية الجسد، فنفى الكندس الرأس».

ووجدت هذه الرواية في «الحاوي» إلا أنها طباشير، وعجبتُ أنا كيف مرّ هذا على من نسخ «الحاوي» لأني رأيته في خمس نسخ، وجرّبه أنا، فكان الكندس الذي ينقي الدماغ، وليس للطباشير إلا التبريد والتجفيف، وماله تحليل ولا تقطيع، والغرض: ما يلفظ ويقطع، ولما فكرت فيه وجدت الكندس يتصحف طباشير، وصح لي ذلك بالتجربة في سنة ستين وأربعمائة في امرأة كبيرة السن وفي رجل برثا بعد تنقية الجسد بسعوط الكندس من ضعف البصر الذي بلغ بهما ألا يبصرا ما بعد، ولا يتحققا ما قرّب، ومن العشى بإذن الله تعالى^(١) وبهذا ينهي المؤلف كتابه. وأنت ترى أن هذه الحادثة كانت سنة ٤٦٠ هـ كما قال «مايرهوف»، ولكننا لا نعلم أنها إن كانت في مصر أم في غيرها من بلاد الله، فتحديد كونها في مصر قول لا برهان عليه، وترجيح بلا مرجح. ولكنني لا أنفي سكناه في مصر - بل أثبتها من نصين آخرين وردا في كتابه هذا، أوهما: ورد في ص ٥٠ من المخطوط، ويذكر فيه تجربته للكحل في مصر. والثاني: ورد ص ٧٣ ويذكر فيه أخذه لدواء من شيخ من شيوخ الإخشادية.

(١) مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١١.

ومن هذا النص الذي ذكرناه نعلم أن علي بن إبراهيم بن بختيشوع كان حياً عام ٤٦٠هـ، وأن وفاته كانت بعد هذا التاريخ .

ب - والده : إبراهيم بن بختيشوع :

كان والد مؤلفنا هو «إبراهيم بن بختيشوع» وكان طبيباً للعيون أيضاً، ويظهر أنه كانت له كتابات في طب العيون لم تصلنا، فقد ذكر المؤلف في ص ٧٩ من مخطوطة كتابنا هذا كحلاً أخذه من كتب والده فقال : «كحل وجدته بخط والدي في كتبه يبرىء من الرمذ الشديد، والقروح الوضرة، ويسكن الألم وينقي الغذاء، وهو منجح : انزروت أبيض جلال ثلاثون درهماً، سكر طبرزد عشرة دراهم، قاطر، ورد أحمر، من كل واحد خمسة دراهم، أفيون وزن درهمن، تسحق مفردة وتخل من خرقة صفيقة ويخلط ويذر منها بين الأجفان وعلى القروح بعد أن ينقى البدن، فإنه فائق حسنُ الفعل، وقد تجربته فحمدت تأثيره بتوفيق الله^(١) .

وقول مؤلفنا «كحل وجدته بخط والدي في كتبه» يجتمل أنه أراد بذلك كتبه التي ألفها، ويحتمل أنه أراد بذلك الكتب التي كان يقتنيها من تأليف غيره، وفي كلتا الحالتين فإن هذا يدل على أن والد علي كان من المهتمين بطب العيون .

ولكن الذي يدل على أنه أكثر من مهتم بطب العيون، وأنه طبيب عيون أن ابنه علياً ينقل رأيه في بعض الأدوية التي تبرىء من الماء قبل تمامه، ولا ينقضه . فهو يقول «وقال والدي : يبرىء منه - أي : من الماء - قبل تمامه : مرارة الرقة البحرية، - وهي الدلفين - أو مرارة الحبارى مع عصارة الفرسيون وعسل فائق، وكذا مرارة الضبع، أو يكتحل بالمر والفلفل، يعمل أشيافاً^(٢)» . وأغلب الظن أن مؤلفنا علياً قد أخذ طب العيون عن أبيه، فتعلم على يديه .

(١) تشريح العين وأشكاها ومداواة أعلاها ص ٩٢ مخطوط .

(٢) تشريح العين وأشكاها ومداواة أعلاها ص ٩١ - ٩٢ مخطوط .

ج- أسرته : بختيشوع :

أسرة «بختيشوع» أسرة علم وطب ، اشتهرت هذه الأسرة بعلم الطب فتوارثه فيها الأبناء عن الآباء ، وكلهم قد نبغوا فيه ، حتى كانوا الأطباء الخاصين للخلفاء ، إلا ما ندر منهم .

وأصل هذه الأسرة يعود إلى الطبيب النسطوري «جرجس بن بختيشوع» المتوفى سنة ١٥٥هـ الذي كان يعمل طبيباً في «جنديسابور» ، فذاع صيته هناك ، فاستدعاه الخليفة العباسي «المنصور» ليكون طبيبه الخاص^(١) .

ثم خلفه في علمه في الطب ابنه «بختيشوع بن جرجس - ١٨٤هـ» الذي كان طبيباً للخليفة «هارون الرشيد»^(٢) .

ثم خلفه أولاده «جبرائيل بن بختيشوع بن جرجس - ٢١٣هـ» وكان طبيباً للرشيد ومقديماً عنده ، حتى كان جلسه وخليله^(٣) .

و«يوحنا بن بختيشوع - ٢٩٠هـ» الذي كانت له الكثير من الترجمات ، وكان طبيباً للخليفة الموفق العباسي^(٤) (طلحة بن جعفر) .

ثم خلف هؤلاء أبناؤهم : «بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جرجس - ٢٥٦هـ» الذي كان طبيباً للخليفة العباسي «المتوكل» ، وصنف له كتاباً في الحجامة^(٥) .

و«بختيشوع بن يوحنا بن بختيشوع - ٣٢٩هـ» الذي كان طبيباً «للمقتدر بالله» ثم «للراضي بالله»^(٦) .

و«جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع - ٣٩٦هـ» ، وكان طبيباً وفيلسوفاً ، رحل إلى «شيراز» واتصل «بعضد الدولة» ثم «بالصاحب بن عباد» ، واستدعاه عزيز مصر ليكون في خدمته ، ولكنه اعتذر إليه ، وعاد إلى بغداد وتوفى فيها^(٧) .

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ١/٣٤٧ للدكتور أحمد شلبي .

(٢) الأعلام ١٢/٢ وطبقات الأطباء ١/١٢٦ .

(٣) الأعلام ١٠٠/٢ وطبقات الأطباء ١/١٢٧ .

(٤) الأعلام ٢٠٩/٨ وطبقات الأطباء ١/٢٠٢ .

(٥) الأعلام ١٢/٢ وتاريخ الطبري ١١/٥٦ وطبقات الأطباء ١/١٣٨ .

(٦) طبقات الأطباء ١/٢٠١ والنجوم الزاهرة ٢/٢٥٧ .

(٧) الأعلام ١٠١/٢ وطبقات الأطباء ١/١٤٤ .

أما مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» المتوفى بعد ٤٦٠ هـ فهو من هذا الرعييل من الأسرة ، وإن كنا لم نجد له ولا لأبيه ذكراً ، ولا نستغرب ذلك ، لأن الناس كانوا لا يؤرخون إلا لمن لمع نجمهم فأعمى الأبصار عما عداهم ، ومؤلفنا «علي» لم يبلغ به النبوغ هذا المبلغ ، وإلا لَمُنْ دخلوا في خدمة السلطان وكانوا من اتباعه ، فلصق اسمهم باسمه^(١) ، و«علي» لم يخالفه الحظ في خدمة السلطان ، ولذلك عاش حياته على الهامش في تلك البلدة القاحلة «كفرطاب» .

ولعل سفره إلى مصر - وإلى اليمن إن صح أنه سافر إلى اليمن أيضاً - كان بحثاً عن ذي سلطان يضمه إليه ، وعدته في ذلك ما يحمله من علم متواضع في الطب ، وشهرة أسرته في هذا الميدان ، يتوكأ عليها وهو يعرج من بلد إلى بلد . وأسرته بختيشوع كانت سريانية ، تدين بالديانة النسطورية ولكن اسم مؤلفنا هو «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» هو اسم إسلامي صرف ، وهذا يدل على تحول بعض فروع هذه الأسرة عن النسطورية إلى الإسلام ، ولعل هذا هو الذي جعل والد مؤلفنا يعتزل أسرته ذات الجاه العريض ويعيش في تلك البلدة المتواضعة «كفرطاب» وهذا ما جعل هذه الأسرة تمسك عن التمهيد له ولولده «علي» للانضمام إلى أحد ذوي السلطان ، والعيش في بجموحه وأمان كما عاش بقية أفراد الأسرة .

د - بلده : كفرطاب :

إن مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي» : ينسب إلى «كفرطاب» ، وكفرطاب كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان : بلدة بين مدينة «المعرة» ومدينة «حلب» ، في برية مُعَطِّسَة ، ليس لهم شراب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج^(٢) وقد قال فيها بعض الشعراء شعراً ، ومما قيل فيها قول :
أبي عبد الله محمد بن سنان الخفاجي :

(١) انظر شرط صاحب الأعلام فيمن يذكرهم في كتابه .

(٢) الصهريج : بئر في الأرض تجمع فيه مياه الأمطار ، ثم يستقى منه .

بِاللهِ يَاحَادِي المَطَايَا بَيْنَ ضَاكٍ وَأَرْضَايَا
عَرَّجَ عَلَى أَرْضِ كَفَرِ طَاب وَحَيْثَا أَحْسَنَ التَّحَايَا
وَاهْدِ لَهَا المَاءَ فَهِيَ مِمَّنْ يَفْرُحُ بِالمَاءِ فِي المَهْدَايَا

وقال فيها عبد الرحمن بن محسن بن عبد الباقي بن أبي حصني المعري :

أقسمت بالرب وبالبيت الحرام وَمَنْ أَهْلٌ مَعْتَمِراً مَن حَوْلَهُ وَسَعَى
إِن الأولي بنواحي الغوطتين وَإِن شَطَّ المَزَارُ بِهِم يَوْمًا وَإِن شَسَعَا
أشهى إلى نظاري من كل ما نظرتُ عيني وفي مسمعي من كل ماسمعا
ولا كفرطاب عندي بالحمى عَوْضًا نعم سقى الله سكان الحمى ورعا

ورغم أن كفرطاب كانت بلدة صغيرة في ذلك العصر، إلا أنها كانت بلدة معطاء، أخرجت لنا من الأدباء والشعراء والمحدثين والأطباء من سجل التاريخ اسمهم، وحفظ لهم ذكركم، فأخرجت من المحدثين «أحمد بن علي بن الحسن ابن أبي الفضل الكفرطابي المعري المتوفى سنة ٤٥١هـ»^(١).

ومن اللغويين «أبو الخير سلامة بن عيَّاض بن أحمد» المتوفى بحلب سنة ٥٣٤هـ وله كتاب التذكرة في النحو في عشر مجلدات، وكتاب: ما تلحن فيه العامة، وكتاب: فضل العربية^(٢).

ومن الأدباء «أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر المتوفى سنة ٥٥٣هـ» له كتاب: غريب القرآن، ونقد الشعر، وبحر النحو، وقد نقض في هذا الكتاب مسائل كثيرة من مسائل النحويين^(٣).

ومن الأطباء «علي بن إبراهيم بن بختيشوع»، وهو صاحب كتاب «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها» وهو كتابنا هذا:

(١) انظر: معجم البلدان في كفرطاب .

(٢) ر: الأعلام ١٦٣/٣ وأنباء الرواة ٦٧/٢ وبغية الوعاة ٢٥٩ ومعجم الأدباء ٤/٢٤٥ .

(٣) الأعلام ٢٢/٨ وبغية الوعاة ١٢٤ ومعجم الأدباء ١٩/٢٢٢ .

٣ - دراسة كتاب : تشريح العين وأشكالها ومداداة أعلاها

أ - وجود الكتاب :

إن مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» لم يترك لنا - فيما نعلم - غير كتابه هذا «تشريح العين وأشكالها ومداداة أعلاها» وبهذا الاسم ذكره «الزركلي» في «الأعلام» عند كلامه عن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» وذكر عبارة آخره، وهذا يعني أن «الزركلي» قد اطلع على الكتاب، ونسخ نهايته. بل إن المعلومات التي ذكرها «الزركلي» عن المؤلف مأخوذة كلها من الكتاب نفسه، وهذا يعني أنه قرأه أيضاً - وذكر «ماكس مايرهوف» هذا الكتاب في مقدمته لكتاب العشر مقالات في العين «لحنين بن إسحق» باسم «تركيب العين وأشكالها ومداداة عللها» وقال: هذا الكتاب مجهول ولم يذكره أحد سواي.

ويوجد من هذا الكتاب اليوم - فيما نعلم - نسختان خطيتان، الأولى في ليننجراد، والثانية في القاهرة في دار الكتب المصرية، وهي منسوخة عن نسخة ليننجراد يقول ناسخها: قد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب في صباح يوم الأربعاء ١٣ رمضان ١٣٤٨ هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٣٠ م نقلاً عن نسخة استحضرها جناب الدكتور «ماكس مايرهوف» الطبيب الانحصائي في العيون من مدينة «ليننجراد» عاصمة روسيا بالتصوير الشمسي، ونسخ ذلك الراجحي عفو مولاه «محمود صدقي» النساخ بدار الكتب المصرية.

أما نسخة «ليننجراد» فهي نسخة قديمة جداً، وقرية جداً من عهد المؤلف، وناسخها هو طبيب اسمه «عبد الرحمن بن إبراهيم بن بسام بن عمار الأنصاري المقدسي»، يقول ناسخها رحمه الله: ووافق الفراغ من نسخها سنة واحد وخمسين وخمسةائة للهجرة النبوية.

وإذا علمنا أن المؤلف كان حياً عام ٤٦٠ هـ - كما قدمنا - فإن هذه النسخة قد نسخت بعد مرور أقل من مائة عام على وفاته.

ب - السبب الباعث على تأليف الكتاب :

لا بد لكل باحث من سبب يجعله يفكر يبحث أمر معين أو الكتابة فيه، وقد يكون هذا السبب إضافة معلومات جديدة، أو تعديل معلومات قديمة، أو

عرض موضوع عرضاً جديداً يختلف عن عرض السابقين له، أو يكون شيء آخر.

وإذا كان مؤلفنا «علي بن إبراهيم» يرى أن علم الطب قد اكتمل على يد «جالينوس» حتى كانت غاية من أتى بعده من الأطباء فهم كلامه وسلوك طرق قوانينه، فإننا لا نطمح أن يكون سبب تأليفه كتابه هذا هو إضافة الجديد، ولا تعديل القديم، ونستغرب أن يكون الباعث على تأليف هذا الكتاب هو صياغة المعلومات بعبارات مسجوعة في عصر ساد فيه السجع، واعتبر من أرق الأساليب الكتابية ولو كان متكلفاً، يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

«قال علي بن إبراهيم: رأيتُ كل مؤلف كتاب، ومصنف آداب، له سبب حثه عليه، وغرض يقصده إليه، وللعلم أوائل وأصول، وللحكم حقائق ومحصول، سيما علم الطب وصناعته، لشرف موضوعه وجلالته، إذ كان علماً قياسياً، وأصلاً عقلياً، وتجارب وحيلاً، وفصولاً وجملاً، وقد أجمع كافة الناس، على اختلاف الأجناس، أن «جالينوس» تم هذه الصناعة وأكملها، وأبان غامضها ومشكلها، وقرر لها أصولاً، وجعل لها فصولاً، تُقرأ على ترتيب ونظام، وقررها إلى الأفهام، فجميع المصنفين من بعده مُقْصرون، وفي أثره مجتهدون، وأفضلهم من بيّن في تصنيفه فهم كلامه، وسلك طرق قوانينه وأقسامه.

فلما رأيت ذلك عدلتُ إلى تسجيع ألفاظه وتطبيقها، ونقلها على معانيها وتحقيقها، وما قد صح عند أتباعه، وتقرر في كتب أشياعه، ورأيت في ذلك معنى لطيفاً، وفناً شريفاً، وهو تسهيل حفظه على الطالبين، وتقريب فهمه من قلوب المتعلمين، وأتميز به عن تصنيفهم، وأبين به من تأليفهم».

ومهما قلنا في مشروعية هذا الباعث، فإنه كان في نظر المؤلف مشروعاً، ويمكننا أن نلتمس للمؤلف في ذلك بعض العذر، لأنه رأى معاصريه ينظمون العلوم أراجيز تسهيلاً لحفظها، فقد نظم اليشكري - ٣٧٠هـ - أرجوزته في النحو والصرف^(١)، ونظم ابن مالك - ٦٧٢هـ - ألفيته المشهورة، ونظم علي بن محمد

(١) إشارة التبين في تراجم النحاة واللغويين ص ٥٠.

السخاوي - ٦٤٣ هـ منظومته في المواريث^(١)، وكثير ممن هم قبل هؤلاء وبعد هؤلاء نظموا العلوم في قصائد تسهياً لحفظها، والإنسان ابن عصره، ولما رأى مؤلفنا أن ثروته اللغوية، وخبرته في نظم الشعر لا تساعدانه على ذلك، فإنه عدل عن نظم كتابه هذا شعراً واكتفى بالسجع.

والسؤال الآن: هل التزم مؤلفنا بما ادعاه أنه كان باعثاً له على تأليف كتابه؟ إن الذي يقرأ الكتاب بإمعان يرى أن المؤلف قد أخذ نفسه بالسجع في أول الكتاب، ثم أخذ يتحلل منه شيئاً فشيئاً، حتى أصبحنا لا نرى له أثراً في النصف الثاني من الكتاب، حيث أخذ المؤلف يقرر المسائل الطبية ويصف الأدوية وتركيبها كما يفعل أي طبيب في مؤلفه، دون التزام للسجع. وفي القسم الذي التزم فيه المؤلف بالسجع كنا نرى المؤلف يضطر إلى التقديم والتأخير، أو يضطر إلى استخدام كلمات قد يكون غيرها أبلغ في الدلالة على المراد منها، وهذا يوقع في شيء من الغموض، كل ذلك من أجل المحافظة على السجع، والعلم بما يحمله من المعاني الدقيقة يجب أن يصاغ بالأسلوب المفصح المبين الذي لا لبس فيه.

جـ - لغة الكتاب:

كتب المؤلف كتابه «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها» بلغة عربية فصحة، لم يداخلها شيء من عامية أهل الشام ولا غيرهم، ولكنه استخدم مصطلحات علمية يونانية في قروح القرنية، مع أن المترجمين العرب قد أوجدوا لها المقابل العربي، والعجيب أن هذه المصطلحات اليونانية في هذه القروح ظلت ترددها مع المقابل العربي كتب طب العيون التراثية حتى القرن السابع الهجري، مع أن هذه الكتب لا تتفق في ألفاظها فيها، فكل مؤلف يوردها على شكل يخالف به غيره.

ونحن لا شك في أن مؤلفنا الطبيب كان عنده تذوق جمالي للجمل العربية،

(١) بغية الوعاة ٢/ ١٩٢ وما بعدها، وهدية العارفين ٧٠٨-٧٠٩.

وعنده القدرة على صياغة المعاني والمضامين العلمية بجمل جميلة أخاذة، فاسمعه يقول في ص ٣ من المخطوط «وخلق له عينين وأذنين ومنخرين، ولساناً وشفيتين، ومرياً وحجابين، وقلباً ورتتين، ومعدة ومعاءين، وكبداً وكلتين، وطحالاً وانثيين، وجعل فيه مخاً وعظماً، وعصباً ولحماً، وعضلاً وشحماً، وعرقاً ودماً، وجلداً وشعراً، حكمة منه وبراً، وجعل بعضها لبعض ماسكاً، ومملوكاً ومالكاً... إلخ».

أرأيت إلى هذه الموسيقى الخفيفة العذبة المنبثقة من هذا التركيب الفذ للجملة، مفتاح يمهد للنغمة «وخلق له عينين وأذنين ومنخرين» ثم تناوب بديع في جمل قصيرة، تشتمل كل جملة منها مفرداً ومثنى بالياء والنون، ثم تغيير هذه النغمة حتى لا يمل السامع منها، إلى نغمة جديدة منبثقة من جملة قصيرة متناوبة، قوامها مفردان منصوبان، بعد التمهيد لها بمفتاح صوتي «وجعل فيه مخاً وعظماً...».

ولم ينس المؤلف أن يجاور في اللفظ بين المتجاورين في الوضع «لساناً وشفيتين» و«قلباً ورتتين» و«معدة ومعاءين» و«عرقاً ودماً» و«جلداً وشعراً».

ثم تأمل جمال التعبير في قوله «وجعل بعضها لبعض ماسكاً، ومملوكاً ومالكاً» إن هذا يجعل القارئ يذهل عن نفسه حتى يظن أنه يسبح في بحور الأدب، ولكنه لا يلبث أن يرتد إلى نفسه فيجد نفسه بين طيات كتاب طب.

ومما يؤسف له أولاً: أن المؤلف بدأ كتابه بهذا الأسلوب الأدبي الرائع، ولكنه لم يلبث أن تركه في أواخره، وهذا يدل على أن جمال العبارة ليس طبعاً في المؤلف، لأنه لو كان له طبعاً لما فارقه أبداً، ولكنه كان يتكلفه.

ومما يؤسف له ثانياً: أن هذا الجمال كان يكدره على الدوام أخطاء نحوية كثيرة تكاد لا تخلو منها صفحة من الكتاب، من ذلك:

قوله ص ٢ «إذ كان علماً قياسياً وأصلاً وعقلاً وتجارباً وحيلاً» والصواب: «وتجارب»

ومثلها ص ٨ «ورتبوا لها قواطيناً برهانية» والصواب: قوانين

وقوله ص ٣ «قسم على أربعة أجزاء واثنا عشر وصلاً» والصواب: واثنى عشر

وقوله ص ٤ «وفي اللحي الأسفل عظامان مركبي فيهما ستة عشر عظماً من الأسنان» والصواب مركب فيهما .

وقوله ص ٥ «والمعنى خلقت . . . والأنثيين . . .» والصواب: والأنثيان .

وقوله ص ٦ «عظم الكتفان» والصواب: الكتفين .

وقوله ص ٧ «ينبت من الدماغ واحد وثلاثين زوجاً . . .» والصواب واحد وثلاثون .

وهكذا تمضي الأخطاء النحوية في كل صفحة من صفحات الكتاب .

د — عنوان الكتاب :

قلنا إن الكتاب يحمل عنوان «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلاها» أو «تركيب العين وأشكالها ومداواة أعلاها» وهما في المعنى متحدان . ويعود المؤلف ليؤكد نفس العنوان في ص ٨ فيقول « . . . بدأنا بأشرف أعضائه الظاهرة للعيان ، وأنفس حواسه في الكيان ، وهو البصر الجليل ، لنذكر علله ومداواته ، بتام معرفة طبيعته ومزاجاته ، وشكله وهيئته ، ووضعه وبُنيته . . . » .

ولكن المطالع للكتاب يرى أن المؤلف لم يتكلم على تشریح العين مع ما له من الأهمية إلا في أقل من صفحة واحدة ، ولم يتكلم قط كلاماً مستقلاً عن شكل العين ، ورصد كل كتابه لمداواة أمراض العين . وعلى هذا فإن المؤلف لم يحقق العنوان في المضمون وهذا سوء في التأليف لا يغتفر .

هـ — تقويم الكتاب من الناحية التصنيفية :

إن التصنيف في طب العيون يتبع إحدى طريقتين سار عليهما الرعيل الأول من المصنفين العرب .

الطريقة الأولى : طريقة حنين بن إسحاق في كتابه العشر مقالات في العين ، والرازي في كتابه الحاوي : وهي أن يتكلم المصنف عن تشریح العين ، ثم يتكلم عن أسباب الأمراض الحادثة في العين ، ثم يتكلم عن أعراض الأمراض الحادثة في العين ، ثم يتكلم عن الأدوية المستعملة في مداواة أمراض العين .

والطريقة الثانية : هي طريقة ثابت بن قرة في البصر والبصيرة ، وعلي بن عيسى في تذكرة الكحالين وغيرهم ، وهي : أن يتكلم المؤلف عن تشریح العين ، ثم

يقسّم الأمراض بحسب أماكنها، أمراض الأجنان، أمراض الملتحمة، أمراض القرنية . . . إلخ، ثم يتناول المصنف هذه الأمراض مرضاً مرضاً ويبحث في كل مرض منها أسبابه، وأعراضه، وعلاجه .

— وقد اختار مؤلف كتاب «تشریح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» الطريقة الثانية، وهي الطريقة التي استقر عليها التأليف في طب العيون .

— وإن المستقرىء للكتاب يرى أن المؤلف بدأ كتابه بالكلام على تركيب جسم الإنسان بعامه، فتكلم عن العضلات والأعصاب والعروق، والرأس والجذع والأطراف، وقد حاول في هذا القسم أن يعطي احصائيات محددة، فذكر عدد العظام في جسم الإنسان، وعدد المفاصل، وعدد العضلات، وعدد الأعصاب الخارجة من الدماغ وغير ذلك، إلا أن من عيوب هذه الطريقة أنه سرعان ما يظهر خلافها بكشوف جديدة، واعتقد أن المؤلف لو لم يحرصها بالأعداد لكان أحسن .

ثم تكلم عن تشریح العين، ثم تكلم عن أمراضها جملة : ثم أخذ يفصل ويشرح هذه الأمراض، فتحدث عن أمراض الأجنان، ثم عد أمراض الماق، ثم عد أمراض الملتحمة، ثم عد أمراض القرنية، ثم عد أمراض العننية، ثم عد أمراض البيضية، ثم أخذ يتحدث عن الأدوية المركبة، الاشياقات، والأكحال، والأكحال الرطبة .

— إلا أن المؤلف في مسيرته هذه التي وصفناها فاتته أن يقسّم كتابه إلى أبواب وفصول، أو إلى مقالات، مع أن هذا التقسيم كان معروفاً في طب العيون في عصر المؤلف، بل إنه تعمد صياغة كتابه بشكل يكون فيه الكتاب وحدة لا ينفك جزءٌ منها عن الآخر، ويصعب الفصل بينهما عند انتقاله من موضوع لآخر، فاسمعه يقول وهو ينتقل من موضوع تركيب جسم الإنسان إلى موضوع العين «ولما كانت هذه الأعضاء الرئيسية، والأصول النفسية، مادامت على الترتيب والنظام، تكون من ذلك صحة الأجسام، فإذا زال أحدهما عن بنيته، أو تغير عن هيئته، أو استحال عن طبيعته، أحدث مرضاً، وبدّل عَرَضاً، جعلت الحكماء المتقدمون والفلاسفة المتقدمون لحفظ هذه الأعضاء على نظامها، وشفائها من أسقامها، علماً صناعياً، وقياساً عقلياً، يدعى «بالصناعة الطبية»

ورتبوا لها قوانين برهانية، ولما كانت جليلة القدر، عظيمة الخطر، لأن موضوعها هو الإنسان، الذي هو أشرف الحيوان، بدأنا بأشرف أعضائه الظاهرة للعيان، وأنفس حواسه في الكيان وهو البصر الجليل . . . إلخ»

— وما يؤخذ عليه أيضاً من الناحية التصنيفية: إطالته الكلام على تركيب جسم الإنسان، حيث استغرق ذلك منه ست صفحات، وذكر في ذلك أشياء لا علاقة لها بالعين من قريب ولا بعيد، كعدد عظام الجمجمة، وعدد عظام الجسم، وعدد المفاصل فيه، وعدد العضلات. ونحو ذلك.

— ولم يقتصر ذكره أشياء لا علاقة لها بالعين تشریحياً فقط، بل إنه ذكر فيما بعد من الأدوية أشياء لا علاقة لها بالعين، كذكره دواء للأسنان ص ٧٥ من المخطوط، وذكره دواء آخر لها ص ٧٨، وذكره دواء لقطع البواسير ص ٨٦، وذكره دواء يقوي اللثة ويُنبت اللحم ويُطيب النكهة ويقوي الأسنان ص ٨٧.

— بينما هو يختصر تشریح العين اختصاراً يكاد يكون مخلا، مع أن تشریح العين هو من موضوعات كتابه، كما أشار إلى ذلك عنوانه.

— ويؤخذ عليه أيضاً: أن المؤلف عندما تكلم عن الأدوية المركبة تكلم عن الأشيافات أولاً، ثم اتبعه بالكلام على الأكحال، ثم اتبعه بالكلام عن الأكحال الرطبة، وهنا أخذ يورد مجموعة من الأشيافات والأكحال الجافة والذرورات والسعوطات وغيرها، ولو أنه ألحق كل صنف بصنفه لكان أحسن في التصنيف وأقوم.

— ويؤخذ عليه أيضاً: أن بعد أن أنهى الكلام في ص ١٢ من المخطوط عن أمراض الجليدية، شرع في الكلام على أمراض البيضية، ثم بالكلام عن أمراض الزجاجية، ثم عاد ليتكلم على الجليدية من جديد ويقول «فإن زالت الجليدية يمينة أو يسرة كان من ذلك الحول العارض للصبيان . . . إلخ» وهذا خطأ تصنيفي جسيم لا ينبغي لأمثال المؤلف أن يقع فيه.

— ويؤخذ عليه أن كتابه لم يحط بالموضوع، فقد عد في المقدمة أمراض البيضية ولم يعالجها وعد أمراض الجليدية ولم يعالجها، وعد أمراض الزجاجية ولم يعالجها، وعد أمراض الروح الباصر ولم يعالجها. وأهمل بالكلية ذكر أمراض العصب البصري، وأمراض الشبكة، وأمراض المشيمية، وأمراض العضلات المحركة

للعين . وهو خطأ تصنيفي كبير.

و- تقويم المضمون العلمي للكتاب :

— إن الطريقة الإحصائية «العَدَّ» التي أتبعها المؤلف في الكلام على تركيب جسم الإنسان جعلته يقع في أخطاء عديدة، وربما لم تكن هذه الأخطاء أخطاء في عصره، ولكن التطور العظيم الذي تطوره علم التشريح أظهر اليوم أخطاء واضحة فيما ذكره المؤلف .

— وأظهر الطب الحديث أخطاء وقع فيها المؤلف، وربما لم تكن أخطاء في عصره، من ذلك قوله ص ٣ «وجعل في الإنسان ثمانية وثلاثين زوجاً من العصب . وفرداً لا أخ له ولا نسب» فكان الخطأ في ناحيتين : الأولى في العدد الذي نوّهنا عنه في الفقرة السابقة، والثانية : أن الأعصاب كلها تكون أزواجاً - والله أعلم - .

وذكر في ص ٩ أن القرنية أربعة قشور - وهذا ما كان عليه أهل زمانه - ولكن العلماء اليوم يقولون إنها مؤلفة من خمسة قشور .

وذكر في ص ٩ أيضاً أن الرطوبة الجليدية يكون نصفها مغرقاً في الرطوبة الزجاجية، والصحيح أن السطح الأمامي لها يلامس القرنية، والسطح الخلفي يكون متوضعاً أمام الزجاجية .

وذكر ص ٣٧ أن الرطوبة الجليدية تقع بين الرطوبتين البيضية والعينية، والصواب أنها تقع خلف العينية، وتكون البيضية بينها وبين العينية .

وفي ص ١١ يعتبر الماء من أمراض البيضية، وهو يخالف بذلك معاصريه الذين يعتبرونه من أمراض العينية .

— وقد اختلف معاصروه فمن بعدهم في عدد بطون الدماغ، فذهب «حنين بن إسحاق» في «العشر مقالات في العين» ص ٨٦ و«خليفة بن أبي المحاسن الحلبي» في «الكافي» - بتحقيقنا - إلى أن عدد بطون الدماغ أربعة، ووافقها مؤلفنا، «علي بن إبراهيم بن بختيشوع»، وخالفهم الشيخ الرئيس «ابن سينا» في «القانون ٤ / ١» وذهب إلى أن بطون الدماغ ثلاثة .

— وقد طرح المؤلف في كتابه هذا بعض الأدوية التي قام هو بتركيبها، وتجربتها على مرضاه فنجحت، ومن ذلك :

كحل للماء النازل في العين ذكره ص ٣٨ من المخطوط فقال : واذكر ما قد جربت فيه من الأكحال ، فأبريته به على الكمال ، وذلك أي اتخذت كحلاً من الحلتيت والعسل ، وماء الرازيانج وشحم الحنظل ، وما اتفق من مراير الطير الصاعدة ، والوحش العادية المتباعدة ، وداويت به رجلاً قد املأت عيناه ، في مدة معينة فكان به شفاه . . . إلخ .

ومنها : شياف ذكره ص ٧٩ كان قد ألفه لرجل شريف قد بقي في عينه أثر قرحة ، وغلظ في الأجفان ، وبدوسيل ، ورطوبة تنجلب إلى العين ، فبرىء منه في مدة أربعين يوماً .

ومنها : كحل ذكره ص ٨٦ يبرىء من البياض والجرب .

ومنها : كحل ذكره ص ٨٠ يقوي البصر ويحفظ صحة العين ، ويمنع انصباب المواد الرديئة إليها .

ومنها : حب ذكره ص ٨١ ينقي الرأس ويقوي البصر .

ومنها : معجون الأسنان ذكره ص ٧٥ قال فيه : عملته وجربته عند سقوط أسناني لما سقطت واهترأت لثتي وتقطع كثير من لحمها ، فأثبت لحمها ، ومسك باقي الأسنان والأضراس وقواها ، ثم ذكر تركيبه .
وذكر غير ذلك .

— وأكثر الأدوية التي ذكرها في كتابه هذا - إن لم نقل كلها - قد جربها بنفسه ، وتبين له نجاحها ، وهذا أمر ليس بالهين .

— إن العلاجات التي ذكرها المؤلف لأمراض العين لم تكن قاصرة على العقاقير الطبية ، بل كانت تتناول أيضاً العمليات الجراحية ، التي كان يصفها لنا المؤلف في بعض الأحيان وصفاً دقيقاً ، وأكثر هذه العمليات قد مارسها المؤلف بنفسه وتبين له نجاحها .

— ويمتاز الكتاب بالاختصار الشديد ، فهو في أكثر الأحيان لا يذكر أسباب الأمراض ، وفي كثير من الأحيان لا يذكر أعراضها ، وفي بعض الأحيان لا يذكر للمرض الواحد إلا دواء أو دواءين ، ولعل المؤلف يفعل ذلك اعتماداً على أنه سيذكر في آخر الكتاب مجموعة كبيرة من الأدوية المركبة التي يفيد الواحد منها في العديد من أمراض العين .

— هناك أدوية مركبة تقليدية متعارفة بين أطباء العيون آنذاك، منها مثلاً شيف الأبار، وذرور الملكايا، وروشنايا العزيز وغيرها، وهذه الأدوية كان المؤلف يحكيها لنا بعد إدخال بعض التعديل فيها بإضافة مادة دوائية أو أكثر عليها، أو بانقاص مادة أو أكثر منها، وهذا دليل على تمكن المؤلف من مهنته، ومعرفته الدقيقة بخصائص العقاقير الطبية مفردة ومجموعة مع غيرها.

— لقد وقع المؤلف في خطأ فاحش عندما نسب في ص ٨٧ من المخطوط إلى النبي ﷺ كحلاً كان قد نسخه المؤلف من أحمد بن يوسف الصوفي الحاج، أخبره أنه أخذه من رجل عابد بمكة، ولدى التحقيق وجدنا أن الكحل لا أثر لنسبته إلى الرسول ﷺ من طريق صحيح ولا سقيم، وكان على المؤلف أن يعلم أن أكثر إخبارات الصوفية لا أصل لها.

— والأمر الرائع حقاً في هذا الكتاب ص ٤٠ أن المؤلف كان لا يبيح لغير الماهر في صناعة الطب بعامة وفي الأعمال الجراحية بخاصة أن يقدم على إجراء العمليات الجراحية في عيون الناس، ويفرض على المتدرب أن يتدرب على جراحة العين بعيون الحيوان - كالشياه ونحوها - حتى إذا ما آنس من نفسه المهارة وعلم فيها الجدارة جاز له أن يجري العمل الجراحي في عين الإنسان.

وبعد:

فإن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» وإن كان قد صرح في كتابه هذا «تشرح العين وأشكالها مداواة أعلاها» أن الطب قد اكتمل على يد «جالينوس»، وأنه لن يأتي في كتابه هذا بشيء من الإضافات غير تنميق العبارة، وجمال الصياغة. إلا أننا نرى أن مؤلفنا قد أضاف إلى طب العيون في كتابه هذا ممارسات جديدة بأدوية جديدة وإن لم يكن قد أضاف إليه جديد من الناحية الأكاديمية.

والله ولي التوفيق

د/ محمد رواس قلعه جي
جامعة الملك سعود
 بالرياض

عملنا في التحقيق

لقد نهجنا في تحقيقنا لهذا الكتاب نهجاً مختلفاً عن نهجنا في تحقيق بقية فقرات هذه السلسلة (سلسلة التراث الطبي الإسلامي - علم الكحالة) إذ أضفنا في هذا الكتاب ما يمكننا أن نسميه (الطب المقارن) فقد أخذ الدكتور محمود صقر على عاتقه مقارنة المعلومات القديمة المثبتة في كتابنا هذا «تشریح العين» بأحدث ما وصل إليه الطب المعاصر من معلومات، كما قام الدكتور صقر بالمشاركة في تحقيق بعض نصوص الكتاب ومتابعتها في المراجع التراثية الأخرى، وقام بوضع فهارس الأدوية المفردة مع تعريف مختصر لها، وفهرساً للأدوية المركبة، ووضع ملحقين للمصطلحات الطبية الأول: عربي - إنجليزي، والثاني: إنجليزي - عربي، وزين الكتاب وضاعف فائدته العلمية بإضافة كثير من اللوحات التشریحية، ووضع المسميات للأجزاء الواردة في هذه اللوحات، ليسهل على القارئ متابعة العناصر التشریحية المختلفة الواردة في الكتاب.

أما الدكتور محمد ظافر الوفائي فقد قام - بما له من خبرة كبيرة في ميدان التراث الطبي - بمراجعة وتهذيب ما وضعه الدكتور محمود صقر، وإضافة المراجع إلى الأدوية المفردة.

وأما الدكتور محمد رواس قلعه جي، فقد قام بمراجعة الكتاب وضبطه لغوياً، واستكمال مراجعة النصوص ومطابقتها في مراجع التراث الطبي، والتحقق من سلامة التحقيق الذي قام به الدكتور محمود صقر، واستدراك ما فات الدكتور وفائي والدكتور صقر وكتب المقدمة، وكان بحق أستاذاً لكل من ينوي السير في درب التحقيق الشاق

وبعد:

فإننا لا ندعي الكمال، فالكمال لله وحده، ولكن حسبنا أننا اجهدنا، والله ولي التوفيق.

شكر وتقدير

وقبل أن نضع نقطة النهاية لأبد لنا من أن نتوجه بالشكر إلى سعادة الأستاذ الشيخ فهد عبد الرحمن العبيكان المدير العام لشركة العبيكان للطباعة والنشر الذي تفضل بالموافقة على نشر هذا الكتاب مع علمه بعدم تحقيقه أي مغنم مادي، ولم يكن له من دافع لمثل هذا العمل إلا نفض الغبار عن أمجاد هذه الأمة عسى أن يكون ذلك نبراساً لأجيالنا الحاضرة، ودافعاً للتحرك نحو مستقبل مجيد.

كما نشكر سعادة الدكتور زيد بن عبد المحسن آل حسين مدير مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على ما قدمه لنا من معونة فنية، سهلت لنا سبيل إخراج هذا الكتاب والله ولي التوفيق . .

المحققون

صقر - قلعه جي - وفائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال علي بن إبراهيم: رأيتُ كلَّ مؤلِّفِ كتاب، ومصنِّفِ آداب، له سببٌ حثَّ عليه، وغرضٌ يقصد به إليه، وللعلوم أوائل وأصول، وللحكَم حقائق^(١) ومحصل، سبباً علمَ الطب وصناعتَه، لشرف موضوعه وجلالته، إذ كان علماً قياسيًّا وأصلاً عقليًّا، وتجاريًّا^(٢) وحيلًا، وفصولًا وجمالًا، وقد أجمع كافة الناس، على اختلاف الأجناس، أن «جالينوس»^(٣) تم هذه الصناعة وأكملها، وأبان غامضها ومُشكلها، وقرر لها أصولًا، وجعل لها فصولًا، تُقرأ على ترتيبٍ ونظام، وقربها إلى الأفهام، فجميع المصنِّفين من بعده^(٤) مُقصرُونَ، وفي أثره مجتهدون، وأفضلهم من بين في تصنيفه فهم كلامه، وسلك طرق قوانينه وأقسامه. فلما رأيتُ ذلك عدلتُ إلى تسجيع ألفاظه وتطبيقها، ونقلها على معانيها وتحقيقها، وما قد صح عند أتباعه، وتقرَّر في كتب أشياعه، ورأيتُ في ذلك معنى لطيفاً/ وفناً شريفاً، وهو تسهيل حفظه على الطالبين، وتقريب فهمه من قلوب المتعلمين، وأتميزُ به عن تصنيفهم، وأبينُ به من تأليفهم، فبدأت من الرأس بأشرف الحواس، وهي: العين وأعلالها وتشرُّجها وأشكالها. وما تدعو الضرورة إلى معرفته لمن قصد هذا العلم على حقيقته.

٣ /

-
- (١) جرى المؤلف في كتابه هذا على لهجة تسهيل الهمزة وردّها إلى أصلها، ونحن سنثبت الهمزة دون النص على ذلك، فحقائق كتبها المؤلف هكذا «حقائق».
- (٢) الصواب: تجارب، لأنه ممنوع من الصرف لأنه على صيغة منتهى الجموع، لوقوع حرفين متحركين بعد ألف جمعه.
- (٢) جالينوس: خاتم الأطباء اليونانيين الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، ولا يساويه أحد في صناعة الطب. وكانت مدة حياة جالينوس سبعةً وثلاثين سنة. وذكر إسحق بن حنين أنّ من وقت وفاة جالينوس إلى سنة الهجرة ٥٢٥ سنة - عيون الأنبياء ص ١٠٩، وطبقات الأطباء والحكماء ص ٤١ -
- (٤) (تعدّد) في الأصل (بعد).